هِـــجْـــرَةُ مُـــعَـلَّـم

زَالَ النَّهَارُ ، وَ تَعِبَتْ رِجْلاهُ مِنَ المَسِيرِ ، فَجَلَسَ فِي ظِلِّ دَارٍ مِنْ هَذِهِ الدُّورِ الْجَدِيدَةِ ، كَئِيباً حَزِيناً ؛ فَجَاءَهُ شَابٌّ يَسْأَلُهُ :

- مَا لَكَ يَا عَمُّ ؟

- مَالَكَ ؟ أَخْبِرنِيْ ؟

فَيَرْفَعُ الشَّيْخُ الأَعْرَابِيُّ رَأْسَهُ وَ يُحَدِّقُ فِي وَجْهِ الرَّجُلِ ، حَتَّى يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ ، وَلا يَرَى فِيهِ مَا يُرِيبُهُ ، فَيَقُولُ لَهُ:

أُرِيدُ أَنْ تَدُلَّنِي عَلَى رَجُلٍ يُدْعَى كُلَيْبَ بْنَ يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ ، مِنَ الطَّائِفِ ، فَيَضْطَرِبُ الرَّجُلُ وَ يَسْأَلُهُ:

- أَتَدْرِي وَيْحَكَ مَا تَقُولُ ؟ ابْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ ؟ أَخُو الْحَجَّاجِ ؟

فَلا يَسْمَعُ الأَعْرَابِيُّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ حَتَّى يَسْرِيَ عَنهُ وَيَنْطَلِقُ ضَاحِكاً بِمِلْءِ فِيهِ ، وَ يَقُولُ :بَلْ هُوَ وَاللهِ الْحَجَّاجُ ، كُنَّا نُسَمِّيهِ كُلَيْباً ، قَاتَلَهُ اللهُ مَا أَشَدَّ عُقُوقَهُ... أَلا تُخْبِرُنِي أَيْنَ هُوَ هَذَا الْخَبِيثُ ؟

- قَبَّحَكَ اللهُ مِنْ أَعْرَابِيٍّ جَاهِلٍ ، أَبِهَذَا تَصِفُ الأَمِيرَ ؟

وَ يَتَلَفَّتُ إِلَى كُلِّ جِهَةٍ ، وَ قَلْبُهُ يَكَادُ يَنْخَلِعُ مِنَ الرُّعْبِ ، يَخْشَى أَنْ يَسْمَعَ حَدِيثَهُمَا أَحَدٌ ، ثُمَّ يَقُولُ لِلأَعْرَابِيِّ هَامِساً: - اِخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ...سَأَلْتُكَ بِاللهِ!

- وَيْحَكَ؟

- أَلا تَعْرِفُ مَنْ هُوَ الْحَجَّاجُ ... أَلَسْتَ مِنْ سُكَّانِ هَذِهِ الأَرْضِ؟

فَيَعُودُ الأَعْرَابِيُّ إِلَى الضَّحِكِ ، وَقَدْ رَاقَهُ مَا يَسْمَعُ ، وَيَقُولُ لَهُ:

- بَلْ أَنَا مِنْ سُكَّانِ السَّمَاءِ ؛ هَبَطْتُ السَّاعَةَ مِن أَعَالِي جِبَالِ الطَّائِفِ؛ أَمَّا الْحَجَّاجُ فَأَنَا أَعْرَفُ النَّاسِ بِهِ : مُعَلِّمُ صِبْيَانٍ أَحْمَقُ ، كَانَ يُعَلِّمُ الْعَرَبِيَّةَ!

- وَيْلَكَ يَا أَعْرَابِيُّ ؛ هُوَوَاللهِ أَمِيرُ الْعِرَاقَيْنِ ، وَقَاتِلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَسَيْفُ الْخِلافَةِ الأُمَوِيَّةِ وَ مُثَبِّتُ أَرْكَانِهَا...

- إِنَّكَ تَهْزِلُ!

- وَهَلْ فِيْ هَذَا هَزْلٌ ؟ سَلْ وَيْلَكَ مَنْ شِئْتَ!

- كُلَيْبُ أَمِيرُالْعِرَاقَيْنِ ؟ يَاضَيعَةَ شَيْبَتِكَ يَاعَقِيْلُ !... وَيْلَكَ يَا هَذَا ، دُلَّنِي عَلَيْهِ...دُلَّنِي عَلَيْهِ...

وَ يَدْخُلُ الأَعْرَابِيُّ عَلى الْحَجَّاجِ فَيَعْرِفُهُ مِنَ النَّظْرَةِ الأُولَى فَيَثِبُ نَحْوَهُ مُعَانِقاً ؛ مَرْحَباً

-أُدْنُ يَا عَقِيلُ!

-أَوَ قَدْ عَرَفْتَنِيْ ؟

-وَ هَلْ يُنْكِرُ الحَجَّاجُ أَصْدِقَاءَ كُلَيْبٍ ؟ كَيْفَ تَرَكْتَ صِبْيَانَنَا؟

-كَيْفَ بَلَغْتَ هَذَا كُلَّهُ؟

-بَلَغْتُهُ لِأَنِّي (أَرَدْتُ) أَنْ أَبْلُغَهُ .

-آهٍ يَا عَقِيلُ لَوْ دَرَيْتَ كَمْ ضَحَّيْتُ مُقَابِلَ هَذَا!

-وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ عَظِيْمٌ يَا كُلَيْبُ!

-شَيْءٌ عَظِيْمٌ ، وَلَكِنَّنِي تَمَنَّيْتُ أَلَّا يَكُونَ لَقَدْ أَرَقْتُ فِي سَبِيلِهِ الدِّمَاءَ وَامْتَدَّتْ يَدِي نَحْوَ بَيْتِ اللهِ.

-وَيْحَكَ يَا كُلَيْبُ ! أَيَكُونُ كُلُّ هَذَا مِنْكَ ؟

-هُوَ قَدْ كَانَ...

-وَلَكِنْ يَا كُلَيْبُ ، أَيْنَ هَذَا مِنْ دَارِكَ فِي الطَّائِفِ؟

-وَاشَوْقَاهُ إِلَى دَارِيَ فِي الطَّائِفِ ، وَ إِلَى أَيَّامِي مَعَ الصِّبْيَانِ؟

لَقَدْ خَلَفْتُ فِيْهَا رَبِيعَ حَيَاتِي يَا عَقِيلُ ، لَقَدْ خَلَفْتُ فِيْهَا رَبِيعَ حَيَاتِي يَا عَقِيلُ...

- وَهَلْ يَعُودُ الرَّبِيعُ إِذَا أَقْبَلَ الخَرِيفُ وَالشِّتَاءِ يَا كُلَيبُ !!!؟.

- لَا ، لَا ، لَنْ يَعُودَ...